الفصل الأول ..

تهريب

..

لا استطيع أن اكون شيئا .. شخصاً ما ، لا ادري بالإحساس ، لم أكن استطيع فعله ... لم أكن للنوم قرين ، ولا للخوف شريك ، ولم استطع ان اكون ..

لم أشعر بالأمر .. لا اريد أن ارى .. او بضم الألف .. وسكت

.. وتمنيت مرة أخرى .. وأخرى .. وهربت .. وعادت عنواني تردد نفسها .. مرةً ، اثنتين .. لم احصي عددها حتى ...

وعند الوجود استطيع قراءت نفسي .. وإن كنت من غير الصفحات إدراكاً .. وشعور اليوم اصبح مشروعاً .. وقلت السنين عمراً ؛ فازدادت الأشياء بكاءً .. وكان من غير الدموع ابتلاءً .. وشردت عيوني إلى ذلك .

....

(امتلأت السفينة بالورى ، بشرٌ كثيرون ، وأنا لا أحب هذا المكان .. أو وجود المكان مع الناس ...

هذا غير مهم ..

أريد فقط الذهاب ، والوصول .. وبلوغ ذلك المكان لوحدي ..

تركت لوحدي هنا .. ولم يبقى معي أحد .. أهذا عدل ؟

أيجب عليَّ فعلاً أن افعل كل ذلك لوحدي ؟ .. ولكن هذا من الأفضل ، أحب أن يكون هذا الأمر فردي ... وأن أكون لوحدي ، من دون أي شخص يحاول أن يحدثني أو أتكلم معه ... و سأنجزه ، لو... لوحدي نعم ...)

...

وهذا الحديث كان نابعاً لنفسها ... كانت الغيوم متبعثرة هنا وهناك .. والشمس ستغيب إذاً ، الشتاء قادم ... وأنا لا أتكلم عن الفصل .. مطر غزير في الطريق ، وبدأت الرياح بالإشتداد .. شرُّ القمر ، وبالظلام يختبئ ..

قد بدأ بالظهور ، مع أنه لم يكن كاملاً ، ولكن كما قال الشاعر

قل للباحثين عن عيوبي ..

ما نقصان القمر إلا هلال

... وهكذا كان الليل أجمل أيام حياة البشر .. ومع التطور بدأ الظلام يُنسى .. لمن هم في طبقة مالية مناسبة ، .. والفقر قد استعد للقضاء على تلك الإمرأة ، وجمال الطريق بدأ بالتناقض ، وفقدان الصورة التي في عقلها .. كانت

..والأشخاص بدأوا بإزعاجها من غير إرادتهم ،

وشاءت الأقدار بأن اليوم يكون سيء ، كسوء البحر عندما تزداد أمواجه ؛ فكلٌ يرى نفسه العمر عدد ..

وشاءت الأعداء من البشر أن تبدأ على نفس الجنس ..

أيمكن ؟ أيمكن أن تكون الحياة مثالية .. وبدون أي حروب ، وبسلامٍ دائم ..

وهذه كانت الأفكار وانقطعت بسرقها من الآخرين ..

أعني أننا نتحدث في المشكلة ولا نفكر بحلها ؟ ونتحدث بصيغة التمني ، ... ومع أن الأحداث التي تحدث الآن في المركب لا تبشر بخير ، غير أنها تعارض كلامها ...

لأننا هنا في هروبنا من العالم كله إلى أجمل بقعة في نظرها .. في نظر تلك المرأة ... نحن إلى سويسرا .

الفصل الثاني

سويسرا ..

هدوء في عقلها ... ووجوه متشابهة .. سحرٌ يُرى من غير ساحر ..
شبه إلي أن الموج قد اشتد ، وابتدأ بالتسارع ، والهيجان المستمر ، وتحرك السفينة يميناً وشمالاً من غير محرك إلى الطبيعة بالطبع ، ..
إجراءات المكان قبل الدخول لم تكن منطقية بالنسبة إليها ..
ففكرت كثيراً في نفسها ...
...
(إذا كان الأمر خطراً لذلك الحد الذي يقولونه الناس ، فلمَ أرى الناس يشربون دماء آخريهم ، وإن هذا التعبير مجازياً ...
ولكنّي لا أرى غير الرجال القذرين ، كلٌ منهم يسمى بذوي القوة ، و كانت زهرة الشباب الشائكة لتذبل هنا ؛ وهذا لأنني لا أرى فيهم أدنى القيم النبيلة ، (أو هذا على حد تعبيرهم) لماذا لا أرى اولئك الذين يظنون الليل عالماً مخيف والنهار هو المنقذ ، أو بشكل أعمق وأدق لماذا أرى الذين يأكلون الخبز في تقسيمات ؟ أو كانت هنا تقسيمات البشر منتشرة ..
ومع أنه يعتبر طبيعيا بما أننا في رحلة خطيرة إلى مكان جميل وباهض الثمن ، ولكن ماذا عنهم ؟ ما الذي يفعلونه الآن ؟ أليسوا بخير ؟ نعم نعم .. هذا شيء طبيعي يستطيعون تدبر أمرهم ، وإن لم يكن معهم ربعاً من القرش ، ولكن عائلتنا المسمى ب دوستانوف من المفروض أن تساعدهم ؟ نعم أكيد أكيد .... ليس علي أن ابالي في

هذا .. أريد التركيز في رحلتي ؛ فكانوا هؤلاء متوحشين ، أليس على الناس أن تبدأ بالتغير ؟)

...

كان هذا التفكير متزامناً مع هجومٍ مفاجئ أكثر من الموج ، من بعدها فقد " الكابتن" سيطرته على المركبة ، وبدا له أنها تحرك نفسها بنفسها ... أو أن هنالك قوىً خارجية تسيطر عليها .. ولم تكن هذه المشكلة الحقيقية ، للأسف .. بدأت المركبة بأن تُجرح ، ولا تتزف .. بل يرجع البحر إليها ، ويحاول اغراقها ، ومن معها من بشر ودوابّ ، فكان عليهم ..يأتوا بأغراض المسافرين "الغير شرعيين " ويسدوها بطريقة أو بأخرى ؛ فلم تكون الثقوب كبيرة ... أي يستطيعون السيطرة عليها ، ولكن لم تستطع " سناه " أن تفعل شيئاً ؛ فلم يكن معها فرنك سويسرياً واحداً (CHF)

.. آه نسيت أن اخبركم بأن الفتاة التي تجلس باكية معنوياً وغاضبة فعلياً ، أن أسمها " سناه مصطفى دوستانوف "

أسم عربي الأصل ... ولا ندري أن كان عربياً بالكامل ..

...

راح القبطان ومن معه من العمال بالنداء على من معه بشيء ما لايغطي بها الثقوب ، ولم يستطع أحد الرد ، وهذا لم يكن بسبب بخلهم .. كلهم انفقوا ما يملكوا على أشياء كان يباعها العمال ، وسرقوا بكلمةٍ أفضل ، وما " كانوا " يملكونه لم يكن كثيراً .. إذاً لذهبوا بمركبة مرخصة ..

ولن أعمم فكان هنالك من معهم ، وهم من سنسميهم بالبخلاء ، أو كان معهم حق .. وهذا على رأيها (سَنَاه)

؛ وبسبب أن هذه مشكلتهم ، مشكلة الذي يتحكمون بالمركبة ، وبنفس الوقت .. لو مضى ... فسيغرقون كلهم على الأغلب، ولا تعتقد أن السباحة ستفيد في شيء ، فهم في عرض البحر ، ولم يكن هناك مركب احتياطي ، أو شيء بهذا المثال ؛ فهم يهربون ، يسافرون تهريباً ، لو كانت الأشياء تلك موجودة إذاً لاستطاعوا الهروب بنفسهم ، لأنهم اخذوا النقود الخاصة بالمسافرين .. ولم يكملوا مخاطرتهم إذاً لكان أفضل ، وهذا كله الكلام بصيغة (لو)، فحدث الأمر وسألوهم ...

(وكان الصمت عائم ، والماء يدخل بهدوء ولا يتسرع ، من الممكن أنه يعرف .. ستحصل مشكلة في القارب أو في السفينة عما قريب .. أليس كذلك ؟ ..)

هكذا تساءلت .. وبصوت مكتوم .. لا يدري أحدٌ عنها ، وليس كأنما أحد يعرفهم ...

بدأ أحدُ الركاب بقطع الهدوء .. وبإصدار صوته فقال

- أتقنعوني بعدم وجود أحدٍ معه شيء هنا ؟ نحن ذاهبين إلى دولة لن تكونوا فارغين الأغراض إذاً ...

.. بعضهم فهم والأغلبية لم يفهموا حديثه ؛ فقد كان يتكلم لغة جميلة ولكنه صعبة الفهم ، نعم ردّ عليه شخص ما بلغة أخرى :

ها؟ ما الذي تقوله ؟ تكلم بلغة مفهومة للجميع ..

.. كان على الرغم من تعابير وجهه المتوترة يفهم ما يقوله و

.. حاول أن يعيد كلامه في نفس اللغة التي تحدث بها ذاك الشخص ، فتدخل شخصٌ ثالث .. وقال كلا الجملتين بكلتا اللغتين ...

فسمع الجميع .. وليس الجميع ... وصمت كلهم ، وصارت هذه الأحداث كلها بعدم اهتمام سناه ... أو بمعنى أدق عدم سماعها للغتين ؛ فكانت وحيدة برغم أنها كانت

جزء من المركبة ، وأنها كانت تحدث شخصاً مجهول ، أعني كانت تحدث نفسها وبإنفعالٍ واضح ، ولو رآها أحدهم لظن فيها الجنون ، ولكن شكراً ...

وقفت مكان جلوسها وأخذت تمشي في السفينة المصابة ، وكانت مشابهة لها ؛ فقد كانت تمشي تظنه على استحياء .. ولكنه ألم داخلي .. وتعب خارجي ، وسمعت الصمت فقطعته وقالت .. :

أتريدون شيئا تستطيعون حمايتنا به ؟

.. وكررته بأكثر من لغة ، ورد عليها أكثر من شخص ، وبلغاتٍ مختلفة ، وكانت الردود

ب

- نعم !

- بالطبع !

- سنكون أتباعك ولا نغرق !

من كانوا لا يعرفون معنى للصوت قد نطقوا ، وبإنفعالية ..

فقال لها قبطان السفينة أو المركب :

اعطني ذلك الشيء الذي يمكنني حمايته وسأرجع لك ما دفعتِ

... قالت متفاجئة

- أهذا صحيح ؟!؟؟!

... ردّ عليها بتوتر

- سأعطيكي النصف اظنني بالغت .. و(يضحك ضحكة مصطنعة) ..

فردت ب :

لا أقبل وإن كنا سنموت فسنموت جميعاً لنذهب إلى الجحيم ...

وتذكرت أنها قالتها بالعربية .. فكررته بلهجات متعددة .. وأقصد بلغات ..

فُقدت السيطرة من على المركب ..

فقرروا الهجوم على الفتاة ، ومن ضمنهم كان هنالك أناسٌ معهم أغراض لتسد .. وستفيد أكثر .. ولكن

كانت الأغراض مهمة لهم للتضحية بغرقهم ، ولم تقبل فئةٌ أخرى من الموجودين على المركب .. وقرروا الوقوف بجانب الفتاة ، والدفاع عنها .. فقالت شيئاً لم يكن مفهوماً للجميع وتعارضت مع المجموعتين ، حتى من كان معها مسته بالشر ، وما كانت هي سيئة كما تعتقد .. فلم تكن هي بوعيها فقد كانت نائمة بعض الشيء .. والأهم من ذلك أنها لم تكن تملك أي شيء كانت تتحدث عنه ، لم تكن بوعيها الكامل ...

..

تقاتلوا ونسيوا ما هم مختلفين عليه وضاعوا .. وقال أحدهم بصوت عالي ... وخائف : إن المركبة ... المركبة كادت أن تغرق أنهوا نزاعاتكم في هذا الوقت فقد صعب الأمر أكثر ....

.. قد توتروا جميعاً ، ولكن .. وأخيراً في نفس الوقت التي كانت سناه تستيقظ وتمتلك وعيها ، اقترح أكثر من شخص على أن يضعوا أشيائهم ، ولكن كما قال ذلك الصارخ .. أن هنالك مشكلة أخرى قد بدأت ، وهي أن الغرفة التي توجد بها الثلاث ثقوب .. نعم كانوا ثلاثة بعدما أحصاهم ذاك الذي أتى صارخاً ، مليئة بالماء ، وسيصعب على " الذي سيضع الشيء الذي سيسد الماء به " أن يضع الأغراض .. ولكن قبل هذا كله ، ما الأغراض هذه التي سيغطون بها الثقوب ، الثلاثة .. وهذا كان تساؤل القبطان .. أو هذه رتبة أعلى من رتبته الرديئة ، عندما كانوا يندهونه بالقبطان .. لا أدري ولكن أظن أن الكل ينظر إليه بطريقة إشمئزاز .. كيف ل " مهرب "

أن يصبح قبطان .. وهذه فكرتهم ... أنه رجلٌ سيء .. وليس لأنه يساعدهم " بطريقة غير شرعية " أنه أصبح الذي ممكن أن تسمع صورته وتُقبل ..

ولكن مع ذلك .. لا يملكون غيره ، لو فقط أنهم اظهروا شيئاً من رفضهم الشخصي له .. ليغرقهم جميعاً ، وبالطبع يملك النقود الذي اخذهم .. ومعه الأغراض التي تجعله يهرب ... ومعه من الناس .. من يساعده

.. ومع ذلك يستطيعون كلهم لو هجموا عليه أن يمتلكوا القارب ومن عليه ، ولكن لهذا سلبيات كثيرة ، ولن يخطر على بال أحدهم .. كل من هنا يريد الوصول إلى مقصده ..

..

وقرروا أخيراً من سيجازف بفست وينقذ الآخرين ، ولم تكن بتلك المجازفة الخطرة ، ولم يتطلب ذلك وقتاً ك الذي تنازعوا فيه من قبل ، وبهدوء ذلك الشخص رجع لهم ، وراح أحدهم يتفقد وقال :

إن الماء قد أوقفت نزيفها ..

.. فرحوا ولكن لم يظهر أحدهم فرحه .. لكل منه بلاءٌ يتملك تفكيره ، وهذا غير السفر غير الشرعي .. وكان كتاب عقلهم قد مرض ومر على صفحاته الزمن .. وبالقلم يروي القارئ عند كل كلمة .. ويتعسر عند كل كلمة يراها ..

وللأسف أنا الكتاب قد وقع على الأرض ولم يتكلف الراوي بنزوله إلى الأرض ليلتقته فنسيه الجميع .. وقرر أن ينهي نفسه فبهت حبره .. وراحت أوراقه تبكي .. فتبللت ولم يستطع على أحدهم أن يمسه .. ومع أنك تظنهم يضحكون ، إنهم مستمتعون بوقتهم ، هذا ما هو واضح حين ترى أن الشخص يكلم زميله في السفر على أنه على صداقة معه منذ عقود ، وهذا شيء جميل ولكنه قبيح ، بما أن وجود الترابط في هذه

السفينة سيسبب التناقضات والاختلافات بينهم كلهم ، كلٌ على حدا .. وهذا ليس تفكيري ولكنني اتفق .. وقالت سناه في نفسها ، بعد أن شوهت علاقتها مع الجميع ، وبعد أن فاقت ، واستعادت وعيها ..

(إني أخاف أن أقلق ، فتنبت أوراقه عندي ...

وأخاف ذلك لأنني أخاف أن تنبت ثماره فآكل منها ..

أو أخاف أن تنبت زهرته فأقع في حب جمالها .. وأسقط بتفكيري بها .. مثلما مر ساعتين على سد الثقوب ، ولا ادري أأظنها سنة أم سنتين ؟ إن الكل هنا بدأ يحتقرني وكأنني أنا .. من يفعل لهم هذه الأحزان .. وبل أنا من أعزف إيقاعها .. ولا يدرون أنني أنا سأواري خطئي .. وأحاول أن أصححه .... ولكن لا فائدة فلن أهتم وسأكمل طريقي وأرى)

وكان طريق سناه طويل جدا .. وغير هذا أنها وحيدة لا يوجد معها أحد ، هذا وأنها أنثى ، .. ضعيفة ..

ورحلة أحلامها بعيدة المنال .. رحلتها إلى سويسرا طويلة ..

والوردة التي في شبابها قد ذبلت ..

والشر الذي قي عينها يكاد ينفذ .. ربما قالت في يومها " أنا شريرة " ربما لأن الأمر قد جعل الحقد والكره في موقف بسيط غير ذا إرادة ، ولكن لنعقد صفقة مع الشياطين .. لندع الأموات تنقذنا .. وإن كانت في قبورها .. وربما قالت في ألمها " أنني ملاكٌ من بين شياطينهم " .. ربما علت بسبب أمر قادها للجنون فلتقول " أنا مجنونة " ..

هذا كله كانت تفكير عبثي للنظر في الأمر من جهة أخرى سترى أنه حقيقي . طبيعي .. وبسيط .. ربما نحتاج إلى أمل الوقت لنراه .. لنرى محبة الناس إليها

.. وقد قادتها المحاولات إلى الجنون ومرة ثانية .. فهي لم تحصيها من عددها .. ولكن اعتبرت عددها محاولتين ..

محاولتين ... كانت هكذا فقط ..

محاولتين كانت

.....

(اتذكر الأمور غريبة ... كنت في زقاقٍ سويسري ، عرفت ذلك من العلم الموجود ، واختلاف اللغات ..

وكان المكان يعجُّ بالبشر ، وكنت مزعوجة جداً ..

عدا ذلك فقد كنت فرحة ، لأنني بالمكان الذي أحبه ..

ولكن في تلك الفترة من الحلم

أو في كل فتراته ، كنت أشعر بنقصٍ ما

.. بنقصٍ موجود .. لم أدري ما هو لهذه اللحظة ..

ولم استطيع أن اعدمه .. فقد وُجد ..

وكان البشر كلهم يضحكون أو يبتسمون ، وفي كل مرة أرى نظرات موجهة عليّ ، أشعر بأن الكل يفكر بي ..

وكل أحاديثهم .. وإبتساماتهم توجه علي .. بطريقة مفاجئة ..

ولا أعتقد أن تفكيري في (الحلم) كان صحيحاً ..

ولكن أنا لحد هذه اللحظة أفكر بنفس الشيء ...

لا أدري .. لا أدري

أنه مجرد حلم ..

لن يؤثر ذلك على الواقع على ما اعتقد) .....

..

كان الصمت سائد عند تحدثها ، وبل وكانوا يستمعون إليها وكأنها تتحدث إليهم ، ومع أنها لم تنتبه لهم ..

ولكن بدأت الضحكات تتوارى في السفينة ، ومع أنهم كئيبين ، لا يفقهون التبسم .. ولكن جنون المرأة قد جذبهم ، وإن كان هذا الأمر مجازياً ، تعتبره هي ..

إنه شيء عادي ع الأغلب ، وإن كانت مرةً رأت شخصاً كبيراً في السن .. يحدث نفسه ويتقمّس شخصيات عديدة ..

فاعتبرته مجنون ، إذاً أهي كذلك ؟

هكذا اعتبروها البشر الموجودين على المركب ، ..

ولن تفرق مركب أو سفينة ...

فسمعت ضحكاتهم ، ورأت سُكر وجوههم .. ، وشعرت بالذعر لمدة بسيطة من الزمن ، وبهذه المدة قامت من مجلسها وذهبت للبحر ، ثم وقفت ترمق الأسماك بنظراتها ، وهم لا يظهرون .. سواءًا فريسة أم مفترسة ، تنظر إليهم بإستمتاع و نشوة ، وبدأت تنسى وخوفها .. ومع ذلك بدأت تنسى ذاتها

وشعرت بأن مهمتها في هذه الحياة .. هي النظر إلى ما هو لطيف ويشعرك بالإنتماء له ، ولم تكن تنتمي للبحر أبداً ..

ولكنها اعتقدت أن الكائنات المائية تنتمي إليها .. فبقيت تطالعهم ببريق عينيها ...

بل وكان البشر ، من معها منهم في السفينة يأتون فراداً

ليلتقوا بهم .. البشر المائيين ..

شارئكهم في المسمى ... فكانوا ك الدواب

وكلهم ينظرون إلى سناه بتلك النظرة الغير مريحة ،

وأُرعبت ف رجعت إلى مكان نومها ..

مكان جلوسها .. لا ادري

لكل مرة مكان آخر ، نحن في مركبة للتهريب

ثم حاولت أن تنام ، .. لم تقدر

حاولت الرجوع إلى مكان مشاهدتها للأسماك ، أو للبحر ، أو للطيور المهاجرة ، أو للموج ..

لا أدري ؛ فالبحر عديد الجمال ...

فلم تقدر .. ، ليس لشيءٍ ما ، ولكنها تذكرت ما قد يحصل بعدها ، وجود البشر ..

فتناقضت بعدها ، وجلست تفكر في لا شيء ، فقط استلقت على الأرض ، ولم تكن تحاول النوم

.. لماذا ؟

.....

الفصل الثالث

كانت ..

شاعت الأحاديث .. واختلفت الأقوال ..

والبحر أمواجه والبياضُ..

وقالت الأمور لبعضها أن تكون بشوشة الوجه قليلاً ، ولكنها رفضت بشدة وبالعكس حاولت أن تغير إنعكاسها ..

والسماء تنظرها وترتقبها منتهية

..تشتدُّ

والبشر يمشون بتمهلٍ على مركبهم ، والقمر يرتقب إنطفاء نور الشمس ، ليظهر سناه الجميل ..

ولتنطفئ بدماء البحر .. وتغرق فيه الشمس ..

ولكل واحدٍ من البشر يتخذ موضع هو حزين عليه ، وشرعت السفينة بالمرور عبر الأزمنة في الحاضر هاهم هنا ..

وبقي المستقبل ينتظرهم ، وفي الماضي يتذكرونه ..

إما يضحكون ، أم يبكون ؟

...

بقيت الأيام تمضي في الخارج وكأن في داخل السفينة كان الزمن متوقفاً ، أو هنالك أحدٌ ما يعبث به ..

لم يمر على زمن تماشي السفينة في البحر إلا قليل

.. فبقي الجميع يفكر بتلك الفتاة معاً ، أولم يكونوا بالأمس يبغضونها ؟؟ ولا أقصدني بالأمس

وشرعت الأمر بنفسها أن تحولت إلى ملاك يتجسده الوحش

....

وارتقبوا الليل ليرتاحوا من حياتهم قليلاً ، عن طريق الأحلام يهربون من دنياهم بالأحلام ، وبالكوابيس يحاولون الرجوع إليها .. وبإستمرار يحاولون ، فلم يعد لهم الأمل بالأحلام حتى ..

وإذ الكل نيام ..

إلا بعض الأشخاص ، الذين استيقاظهم لازم ..

وبقيت سناه مستيقظة ، وبمعنى أدق أنها كانت نائمة أو مستلقسة على الأرض ، وعند ما راح الكل لأحلامهم رجعت لذلك المكان .. ، بل تغير ..

كلهم بنفس الشيء لن تفرق ..

.. وكان صوت الموج عائم على المنطقة بشكل عام ..

فملّت سناه ..

راحت إلى من يسمى بالقبطان ..

وقالت له :

هذه الرحلة المخيفة كم بقيَ على إنتهائها ؟

... رد عليها بتنهد بعدها بصوتٍ خافت :

إذا كان الحظ معنا فسنصل بعد أسبوع .. سبعة أيام

.....

- وإذا لم يكن معنا ؟

- من عشرة أيام إلى خمسة عشر

- وهل معكم الأكل الكافي لهذا المدة ..؟؟

- لا اعتقد ، ولكن سندبر الأمر .. لا تقلقي .

...

نعم كان متوتراً ، ونعم كانت منزعجة .. وكلاً منهما يعرف شعور الآخر ..

ولكن ما باليد حيلة فذهبت سناه .. رجعت لمكانها

وذاك القبطان الملتحي بالشيب ، وبعض الشعر الأسود غير الواضح ، وكان فارغ الرأس ..، وكان مقرف بعض الشيء ..

وهكذا كان انطباع سناه ، أنه مقرف ، ولا تراه محترماً أو له نفوذ ، أو من عائلة كريمة ، وهي لا تقصد أن تكون سيئة ، فلتكن آراء شخصية ، وهي على سفينته من الأساس

.. ولكنها تهريب ، سفينة تهريب ..

ليست من السفن الفاخرة ، أو أنها ليست سفينةً عادية ؛ فهو مركب يكاد يكفي راكبيه ، وهو ليس للسفر الشرعي أيضاً

هكذا كان رأيها هي ، و سأتفق معها إذاً ..

...

سُمع صوت ما قبل الفجر ..

وبدأت الشمس بالطلوع مرة أخرى

وبدأ الجميع بالإستيقاظ سواءًا عمال أم مسافرين ، ولم يكن هنالك عمال من الأساس ، هم جميع الموجودين على المركب لهم قطعة من هذا الأمر ..

و لم تكن سناه نائمة حتى ولكنه كانت مع الجميع تستيقظ ؛ لكي لا تجعل الأنظار عليها كالبارحة ، و لتكون على طبيعة البشر ، .. تماسكت نفسها قليلاً ..

ثم غلبها النعاس الشديد .. وحاولت

لم تستطع ورجعت للنوم ك منعطفٍ أخير

...

ظن الجميع أنها قد أغمي عليها ، أو شيءٍ من هذا القبيل ..

ولكن قال لهم يسمى بالقبطان :

كانت طوال الليل تتأرجح مع النجوم لتراها ، وتنظر للبحر تشكو إليه ..

كان يقولها بلغة هادئة مشمئزة بعض الشيء ..

فتركها الجميع وبقيت لوحدها ....

...

لا شيء سوها مثيراً للجدل في هذه السفينة ، لكلٍ منهم تفكريه الخاص ، وبعض التفكير بها ، هذه المسكينة ألا يوجد من يكن معها ليواسيها ، .. أو على ماذا سيواسيها ؟

فضول ، حزن ، حوف ، شفقة ....

وحلمت سناه حلماً آخر ..

لم تنتبه له ، فاستيقظت ولم تتذكره

.. كانت ملامحها كئيبة .. ولكنها لم تكن تذكر شيئاً من البارحة ، وهذا شيء جميل جعلها تمضي بيومها ،

مع أنهم (من في السفينة) يرمقونها بنظرات توحي بالغرابة والشفقة ، فأخذت تحال وجوههم وترمقهم هي الأخرى ...

وشاهدت فرأت أشخاص بدا عليهم الحزن ، ولكن بداخلهم سلام مكونة من حرب ، حرب ممتدة لا تنتهي ، هذا وإن كانت لها بداية من الأساس ..

ف يحدث اضطراب مفاجئ بالسفينة ، وسناه تراقب وترى ..

لن تهتم للغرق من الاضطراب ؟

تراقب ردات فعل الموجودين ... وذهبت المشكلة ، بقيت نظراتها ترواح مذاهبهم .. غير أنها تفاجأت بخوفهم ، وذعرهم من الغرق ، وشاءت أن تغير نظاراتها إلى جهة أخرى من السفينة ، ترى نفس المنظر بنفس الإشكالية ، وكأنهم غرف تعذيب مشتركة ، بنفس السوء ، ولكنهم خائفون من الموتو، لما ؟ لما يرهبون الموت وهم في

تعذيب دائم في الحياة ، وهذا من غير وجودهم الأول ؛ فهذا من المفترض أنه أفضل من حياتهم السابقة .. أليس كذلك ؟

..

وهي ترمقهم بنظراتها أدركت أن هنالك إناث غيرها ، و أن العكس .. قلّ الذكور ، ورأت فيهم أناس طيبيين ، ولكن

ما يكونوا في عائلة أو مع رجالهم ، من يتحدث معهم أو يناظرهم على أقل تقدير ، ومع أنها (سناه) كادت تبكي ..

ولكن انتهت من الأمر فقامت من مجلسها ...

فرحت بعدها ، بعد بكائها الذي لم يحدث ، بدأت بالتبسم

أنها لم تعد تريد معاشرة البشر ، ولا تريد البكاء عليهم ، ولا تريد الحزن أو الشفقة ، فقط لوحدها .. تريد أن تكون

غير أنها حلمت ، وتمضي في الحلم الخاص بها ... لوحدها

..

وراحت ترنو البحر بشمسه ، وهي تشرق ، (تشرق ؟؟؟

ألم تتم هذه الفكرة من قبل ؟ أم كان ذلك حلم من نوعٍ ما ، .. لا أدري ولكنني أظن أن هذا قد حصل من قبل أو لم يحصل ؛ فقد كان حلم)

... بعد هذا التشكيك بدأ الجميع بالإستيقاظ وهذه المرة ...

انتظرت قليلاً ذهبت للقبطان وسألته ..

- نحن في أي يوم من وقت شروع هذا السفر ؟

- ها؟! ولكننا في اليوم الثاني ..

.. نظرت بحزن ممكن .. فتركته وذهبت .... رجعت وبحماسة مفاجئة ..

- ألم أسألك كم سنستغرق من الوقت كي نصل ؟

- لا لم تسألي ، ولكننا سنصل...

- إذا كان الحظ معنا فسنصل بعد أسبوع .. سبعة أيام ، وإذا لم يكن معنا من عشرة أيام إلى خمسة عشر

- إذا كنتي تعرفي لما لتسأليني ؟؟ وكيف تعرفي أمر كهذا ؟

- آسفة على إزعاجك ، ولكن إحذر من إضطرابات اليوم

- ها ؟!

.... ذهبت إلى مكان جلوسها تركته وهو يشعر بالغرابة .. وهي حزينة على الأغلب .. ذهبت تفكر ...

(إذا كان هذا الأمر من ترهات تفكيري فيأخذه شيطان ، وإن كان حقيقياً فلن أهتم له ، لا استطيع ترك حلمي يعبث في واقعي ، وسأركز في تهدئة نفسي على الزمن ، لا استطيع تذكر الماضي في حدوث الحاضر والتنبؤ بالمستقبل منه ..)

وارادت البكاء فلم تقدر ..

لم تصدق أن هذا نوعاً من التعذيب .. ستحترق شوقاً إلى دولة لم تراها ، ويمزح معها الواقع ..

تغاضت عنه وأكملت يومها ، .. ورأت شيئاً جعلها تفكر حقيقة ..

كانت السفينة تمشي على البحر من غير أقدم ، والغيوم ترسي في السماء أو فوقها فلا أدري معنى للسماء ، وكانت هنالك موجودة ك الطيور ، حمام يلتقط فريسته ... صخر في منتصف كل ذالك ..

معلقة عليه قطن من غيمة ملطخة بالماء الثقيل ..

(أنحن نتذكر ما نحلمه في آخر لحظة من نومنا وفي بداية استيقاظنا ؟؟ أم نعيشه فنظنه واقع ؟

الفصل الرابع

محاولتين ..

هذا المظهر جعلني أفكر بالأمر وكأنه حصل، ما معنى حلم ؟

نعم .. أنحلم بالشيء وكأننا نعيشه ، أم أنه يكون فقط ك ذكرى تذكر عند آخر محطة من نومنا .؟؟

وبل جعلني أفكر بالحلم الذي جاءني اليوم .. مع تشابه الغيوم .. ومع الذكرى التي كانت تلوح في دماغي طوال الوقت : كانت الحياة زاهرة بالأوراق الجميلة ، والذكريات الحاضرة ، كانت حياة ريفية جميلة ، أو دعني لا أقل ريفية .. لا أدري ، فقط كانت حياة أجمل من هذه ..

كنا جميعاً مع بعض بقبول من الدنيا ، لا نريد شيئاً .. كان والدي يذهب دائماً إلى العمل لوحده ، لا أنكر أنني كنت مراراً أنتظره ، بل وأقلق عليه ..

لا أدري من ماذا

.. وعند طول إنتظار يصل وأنا نائمة ، ولن أنفي أنني كنت مرات مستيقظة ولكنني لا أجرئ أن أكلمه في ذلك الوقت ..

كان متأخر جداً ..

كنت أنا وأختي دائماً نستمتع بالوقت الذي يسبق زمن مجيئه .. وإلى الآن لا يعرف أحد منهما (أبي وأمي) أننا كنا نفعل ذلك ، أو ربما يعرفوا لا أدري ..

كان تفكيري ناضجاً بعض الشيء بالنسبة إلى سني ..

ولكنّي كنت أدرك شيئاً واحداً .. أن الحياة الجميلة ستنفى يوماً ما ...

فلن أكرس وقتي نحو الكتب والعلم ، أو النفس والعقل والكآبة ...

كنت أعيش جمال حياة عمري التي لن ترجع ، وكان ظني صحيح ، دائماً ما كنت أفكر في أن استرجع تلك الأيام من ذكرياتي فقد طال فراقها ....

... وكأنني لا اذكر سوى الليل هنا ، اعتقد أنني كنت أحبه بذلك الوقت ، وإلى الآن .. فالنهار تشعر به أنه حامِ الكون من الظلام ، والشمس عي الدافعة ، وأنا لا أحب الشمس بضياءها ...

ولكنني أذكر من كان في النهار يأتي دوماً ...

من كان يطرق الباب دوماً في نفس الوقت ، في كل يومٍ بالسنة ، .. كان ممطر أم حار أو خريفي ... أياً كان ..

كان يطرق الساعة التي كانت تدق في ذلك الوقت ..

وكلما أسأل والدي عن الأمر يقل لي :

لا تهتمي بأمر يكن فوق قدراتك العقلية ...

أظنها كانت كلمة عادية ولكنها بطريقته الفلسفية ،

ولكنه كان أغلب الوقت يأتي في دوام أبي ..

يعني أن كان هنالك نسبة في أن أفتح له وأعرف وجهه ..

والأهم أنني أعرف ما الموضوع الذي يتحدث به ..

ولكنها كانت تحذرني عن فتح الباب .. أعني أمي

، بعد أن حفظت موعده ، الذي يأتي به ، وأشغل أمي أحياناً ..

لم أكن أدري لماذا كان يمنعاني من فهم الموضوع ، وكلما يحذروني أكثر يزداد فضولي أكثر ..

أو هذا لم يكن ليحصل سوى أنني كنت ذكية في نظرهم ، وهذا ليس إدعاء أو كلمة تفاخر ولكن هذا رأيهم ...

في يومٍ غفل الحميع عن الأمر ، أو أنهم فعلوا ذلك بإرادتهم لا أدري ، و ما أعرفه هو أنني يومها فتحت الباب ...

الذي ظهر أمام رجل طويل القامة ، كان شبه فقير .. بالنسبة للملابس التي كان تعتنق بجسده ، مرت دقائق وهو واقفٌ لا يناظر سوى ما في افقه إلى الأمام ، ولم ينتابه الفضول لمن تكون القصيرة من فتحته الباب ..

كان هذا الأمر غريباً ، جداً ، بعد أن أدرك بأن وقوفه لن يفيد بشيء نظر إلى الأسفل وأنا أناظره ، دُهش وقال :

أكان لمصطفى ابنة من قبل ؟!!

وقل بعدها ببرهة ..

أين والدك .. والدتك

كذبت عليه وقلت له :

لا يوجد أحد هنا في هذا الوقت ..

- يتركوك لوحدك هنا .. أمر غريب منه

- من هو ؟

- أباك .. من غيره ، على كل حال سأعطيكي ورقة لتأخذيها إليه ، وقولي له إنها مني ...

ضحك متنهداً

آه نسيت أن إسمي مكتوب بالفعل .. ويبتسم ، فيذهب ..

"حسناً" هكذا قلت لنفسي ، هل تكذب واقول لهم انه لم يكن احد ؟ وهل آخذ الرسالة واقرأها ؟ هل اختار ان اشبع فضولي أم بر والدي ؟ ..

بلا تفكير ذهبت لغرفتي وهذا بعد ما كذبت على أمي وقلت لها أن من كانت طفلة العب معها ...

وامسكت بهذه الرسالة لأقرأها ، ولم تكن بتلك الرسالة الثقيلة ، وعندما فتحتها بالفعل لم تكن كثيرة الكلمات .. وكنت اتذكر عدة أشياء وأنا بقرأها ... وقرأت

" السلام عليكم ..

أهلاً يا سيد مصطفى ، لك تحياتي وإنشاءالله تكون بخير ..

أظن بخير بما أن نهاية الحرب مضى عليها ما يقارب الثلاثين عاماً ، واتمنى أن تكن فرحاً مع عائلتك ، التي لا أعرف ممن تتكون ، ...

إذاً .. الحديث الذي كنت تعرضه عليّ في السابق ، فكرت يه واعتقد أن علينا أن ننشر هذا الكلام في الجرائد مثلا ، أو أنت من عليك أن تنشره لوحدك ، أنت لا يجب أن تفرط بهذه الأفكار وأن تذهب سداً لسبب غير معروف ، أقترح عليك أن تفعله ، أن تنشر هذه الأفكار بأي طريقةٍ ما ، فكرت كثيراً وحاولت أن اساعدك بطريقة لا تعرف بها ، .. ولكنك لم تعطيني الضوء الأخضر لأبدأ بهذا الشيء ، ولم آخذ رأيك ، ولكن فكرة الزمن ، والوجود أن الاثنين مرتبطان ببعضهما لم اسمع عنها من قبل .. ولم اقرأ عنها في الكتب ، قرأت قليلاً ولكن بيس بصورة واضحة ، أظن أن فكرتك صحيحة ، فكرت كثيراً وظننتك في البداية حقيقة كنت تهذي بما لا تعرف ، ولكن بعد تأملي اكتشفتك عبقرياً ، وأنا لم أكن اعتبرك صديقاً إلا كأخ ، وفكرت أن العالم كله زمن والوجود مرتبط بالعالم فأنه إذاً يرتبط بالزمان.. وفكرة الماضي والحاضر والمستقبل

قطعة واحدة ...

إذا كانت العوالم جمع ... فلا معنى لكلمة وجود ، لسبب أن الزمان غير موجود مع توازي العوالم .. ، وان كان الوجود معدوم فلا معنى للزمان إذ كان العالم مرتبط مع الوجود ...

والماضي لا يوجد من غير حاضر .. ومن غير المستقبل لا نرى حاضراً .. إذ كان المستقبل هو حاضرنا بعد ثانية .. وإن كنا جميعا في ماضي فلن يكون الحاضر موجود .. فكلهم مع بعض قطعة واحدة.. فالوجود يتناسب طردياً مع الزمن فإن لم يوجد فلن يكون هنالك عالم ، وبدون عالم أو كون أو وجود فلا معنى للزمن أو للوجود ..

أريدك أن تقابلني في أسرع وقت .. حقاً أنا أريد أن اتحدث معك بهذا الشأن ..

..

تحياتي

..

ممدوح الديري "

....

استلقيت على سريري وتركتها .. أو رميتها بمعنى أصح ..

فكرت بما كان مكتوب .. مع أنني كنت صغيرة وقتها ..

لماذا أتذكرها لهذا الوقت ؟ .. لا أدري من الممكن بسبب صدمتي وقتها ، فكرت فيها وقتها .. وقلت في نفسي وقتها .." ما معنى هذا كله " وأخيراً اكتشفت اسم هذا الشخص .. ومظهره ، وكان الجميع صامت وقتها في الخارج .. لا أدري اعتقدتهم سيأتي أحدهم فجأة ، وكن خائفة بأن يكتشف أحد ما قرأته .. ولكنه ليس ممنوع بتلك الدرجة .. لأن إلى والدي في النهاية .. هذا ما كنت اعتقده ، وكنت خائفة من أمر واحد بصراحة .. كيف سأوصل هذه الرسالة إلى والدي؟

بعد تفكير طويل .. قررت أن اعطيه أياها وسوف أكتم حقيقة أنني قرأتها ..، بل أريد أن أعرف أكثر عن الأمر فأسأله ...

كان وقتها في الخارج .. لم أفعل شيء وقتها إلى أن أتى ..

كنت ذكية على حد قولهم .. فلم أقل له هذا الكلام مباشرة .. انتظرته ليرتاح من عمله قليل .. وليأكل بعض الشيء ..

ناداني فجأة .. خفت .. ولكنني مع ذلك ذهبت بسرعة إليه ..

قال لي ..

أجاء أحدهم إلى هنا ؟ .. طويلٌ نوعاً ما هو .. قالت أمك أنك فتحت الباب قبل قليل ..

.. تنهدت وتمتمت ..

- نعم وقد أعطاني رسالة لك ...

- رسالة !! أين هي ؟!

- أين هي .. آه هاهي ..

أعطيته إياها .. وبقيت واقفة مكاني ..

وقال :

لما أنتي واقفة .. ما الذي تريديه ؟

.. لم يقلها وهو غاضب .. كان هادئاً جداً ف سألته ..

ما معنى الوجود الزمني ؟

....

استيقظت سناه تلهث وبسرعة .. تتنفس بسرعة .. خائفة تنظر وراءها وأمامها ..

وتجد أن لا شيء حولها .. ألم نكن في المركب ؟ ما الذي حصل ..

كنت أسرد قصة لشخص أنا أعافر لأعرفها ؟..

الفصل الخامس

معنى ..

" اختر عالمك ..

بالفعل عندما سمعت هذه الجملة قررت أن ابدأ بتغير حياتي .. لماذا يفرح البعض بأن لهم أسماً جميلاً ؟ أكانوا هم من أختاروه ؟ ترى أن العالم كله مبني على فكرة ناس آخرين غيرنا .. على أبويك مثلا هم من اختاروا وجودك بشكل عام .. اي أنه لو رأيت فلاسفة عظماء ك افاطون او نيتشه او كانط ستفكر بالأمر بأن لا وجود لهم من غير تفكير بأويهما بأمر جنسي .. ف قرروا أن يفعلوا ذلك بإرادتهم .. وبل بعد أن تولد يجبروك على أشياء أنت لا تريدها .. ولم يكن أب كانط إذاً يفكر بأنه سيصنع شخص تفكر الناس به إلى اليوم ، كل هذا بالفعل كان بمحض الصدفة ، ومن سماك بإسم ما لن يعتقد أنه هو سينتج شيئا سيبقى مع هذا الشخص .. حتى مماته وإلى بعد الممات ، حتى أن وجودك في مكان ما في دولة غنية .. في عائلة نافعة أو في قبيلة تعترف بالإحترام .. هذا يعني أنك تمتلك هذه الصفات .. لا الوراثة إلا بيولوجيا .. وبالطبع أنت لن تكون سوى طفل تتعلم منهم ما تريد ، وتتعلم ما لا تريد ، شأنك ليس مش شأنك ، وإن كنت تشعر بالوحدة .. بأي شيء يعكس منظور المجتمع الذي أنت تنتمي إليه .. فهذا يعني أنك منبوذ .. وسيجعلوك منبوذ إلى أنت ترجع لرشدك ، أو رشدهم هم ..

..

نحن نعيش في عالم تضع في الأسماك بالأحواض لنجعله زينة .. أولم يكن للسمكة حرية ؟ أم تظن نفسك استثنائي لانك تملك عقلاً؟ لماذا نعتقد أنفسنا دائماً أعلى من

أي كائن آخر ؟ مثلاً الأسد يمتلك المكانة بين الحيوانات في الغابة .. والسرعة الفهود مثلا .. ومن هو ذكي هناك يسمي قرد مثلا .. من هو سيء هو الغراب .. أظن .. كلما سيئين بهذا الإعتقاظ لاننا بنفس مسمى الحيوانات .. نحن دواب .. لكل كائن ميزاته .. إذاً لماذا وجدنا نحن صدفة .. لماذا نحن من نمتلك وعياً نستطيع به أن نفعل ما لم يفعله غيرنا ؟ أو أهذه صدفة أصلاً .. نحن خلقنا جميعاً من الممكن من إله أو من أبوين .. الإنسان بشكلٍ عام يُنظر عليه بأنه يجمع من بين كل الأشياء ليُشكل على أنه إنسان إستثنائي ، شاذ ..

اعتقد أنه مل من فعل الدواب .. وأنه يريد أن يستغل عقله ليجعل نفسه محط أنظار الحيوانات الأخرى بعد أن تعدى هذا الفعل من مدة طويلة جداً بدأ أن يتظاهر بين اجناسه من الحيوانات من الآخرين العاقلين لأنه تعدى مرحلة الحيوان .. على اعتقاده ..

لا تفخر لأنك إنسان .

لأنك لست من فكر أولاً .. ولا شيء فطرياً كل أمر يحدد على حسب الأشياء التي تخوضها .. ولست أنفي أن هناك بعض الأشخاص الذين يخلقون بصفات معينة .. نعم ولكن لهذا سبب ليس هو من فعله .. ولا أعني بعدم حرية الشخص ، هذا خاطئ .. لكل منا حريته ولكن لسنا جميعنا نتحمل النتائج ..

الإنسان دائماً حر .. ولكنه ليس هو من يفعل ما يملكه ..

ولكن لنتفق أنك لا تمتلك إسماً إن لم تكن أنت من سميت نفسك ...

.. قل أننا نملك خياراً وهو أننا نستطيع أن نكون أم لا ..

بما أنك إنسان موجود ولكن فكرياً ليس فعليا .. بما أن غرائزك الإنسانية موجودة من غير أن تكون أنت موجود .. إذاً هل أنت موجود من قبل أن توجد ... وهكذا لن

يكون وجودك صدفة .. وأنت اخترت أن تعيش بما أنك موجود من قبل أن تعدم وجودك في القبر بعد أن تكمل حياتك ، وهذا يعني أنك اخترت وجودك .. ولكنك لست أنت من صنعته .. ولا أدري إن كان هذا الأمر صحيحاً ، بما أنه من وجهة نظر الجميع يعتبر صحيحاً .. ولكن هذا لا يثبت إلى أن يأتي أحدهم من قبل وجوده ويقل لنا أن وجد من قبل العالم وينتظر وجوده فيه .. هذا يعني انه اختار حريته في الوجود .. ولكن كيف ؟ "

..

قرأت هذه عند وصولي إيطاليا ....

..

سناه .. استيقظت من نومها مفزوعةً وقتها وتبكي بعض الشيء .. كأنها تتذكر ذكرى تجعلها ترجع إلى نومها لو كانت تستطيع .. ولكن لا وجود للأحلام من غير الكوابيس .. فحلمت بعدها بوجودها في مكان معزول .. أو في بيت ما .. قصرٍ كبير .. ولكنه مخيف مع ذلك .. يجعل الراغب بالثراء أن يعيد التفكير في الأمر ، كانت على موجود في الطابق العلوي .. وبما أن فضولها دفعها إلى إكتشاف المكان .. فراحت ترى ما الذي يخفيه هذا المكان للمجهول .. ذهبت لتناول إلى الطابق السفلي فوجدت أن هنالك رحلة طويلة عليها أن تخوضها .. بما أنها لوحدها ف من الطبيعي أن تكون السلالم طويلة .. تمل وهي تنزلها ، وبما أنها في حلم فذلك جعل من الأمر أصعب ، وجعلها تفكر في النزول أكثر من مرة ، فقررت أن تنزل .. لأنها لا ادري إن كانت في حلم أو انها واعية ، كانت تنزل عليها .. فوجدت شخصاً مغطى بملابس سوداء .. ملابس بالية بمعنى أصح .. كان عملاقاً بعض الشيء .. ف حاولت أنها لم تراه .. وخرجت مسرعة

من الباب .. ولكن المصيبة أنه لم يتوقف .. وبل أسرع معها .. ذهبت تجري من بين الشجيرات وتختبئ ، ونجحت في إخفاء نفسها ...

كانت ثابتة خائفة .. ورأت من بعيد امرأة تلبس رداءًا أبيض .. فذهبت إليها بتسألها ما الذي تفعله هنا .. وكيف جاءت إلى هنا .. ألم تكن في السفينة ؟ ..

وما إن وصلت عندها إختفت صاحبة الرداء ..

تنهدت سناه .. وما إن أكملت طريقها إذ تظهر تلك صاحبة الرداء من العدم .. حاولت أن تنظر إليها من بعيد .. من مكانها لكي لا تختفي عندما تقترب .. أمعنت النظر .. وأيقنت أنها هي ، نفس الشخص من كان على السفينة .. فنظرت لنفسها ورأت أنها صغيرة .. صغيرة ؟!

وسألها شخص من ورائها من أنتِ ؟

...

استيقظت سناه مفزوعة وتصرخ .. فالتم من معها ويسألون ما الذي حصل .. لم تكن ذكرى .. لقد كان كابوساً من نوعٍ ما ..

تذكرت تلك الورقة التافهة التي كانت تتكلم عن اختيار العالم وتذكرت أنها قالت نفسها أنها في ايطاليا ..

ما الذي يحصل.. نحن على السفينة ..

سألت بعضهم نحن في أي يوم من الرحلة ..

قالوا : الثالث ..

شعرت بالدوران واستلقت على الأرض .. فتركها جميعهم ...

ليس وكأنهم رجالٌ سيئون ولكن .. قد فهموا أنها لا تحتاجهم إلا إذا ذهبت إليهم ..

...

.. كل يوم أصبح متشابهاً .. ما تلك الرسائل .. ومن ذاك الشخص الذي يكون إسمه مكتوباً على الورقة دائماً ..

أو هم شخصيين ... لا أدري فلست أنا من قرأتها ..

انا فقط سمعتها ..

تحاول سناه الرجوع إلى وعيها ..

بأن تشاهد البحر وكائناته ..

سألت عن معنى وجودهم .. هل لهم وعيٌ ما ؟

ضحك أحدهم .. مع أنه على اعتقادها لم تعلي صوتها .. لم يكن مسموعاً ..

ولكن هذا الشخص كان عمره صغير نوعا ما ...

سألها .. هل أنتِ عندك وعي ؟

.. تفاجأت أنه يتكلم العربية ..

قالت :

بالطبع .. وكيف أتجاوب معك هكذا

قال ..

- وإن هجمتِ على السمكة هذه (وأشار على واحدة) ستهرب وتحاول أن تفلت من يدك .. وهذا يدل على أنها واعية

- وهل تسأل السمكة إن كنت أنا واعية أو أفكر ..

- لم أكن سمكة من قبل ولكن لكلٍ من الكائنات درجات من الوعي ... للحيوانات ألم وحزن وفرح احياناً ، الفرق بيننا وبينهم أننا فعلنا شيء جعلنا نفكر بالطريقة هذه ..

- إذاً هي واعية ؟ ولكنها تعتبر للأكل.. تعتبر طعام .. والحيوانات غالباً تكون لنأكلها ..

- أنتِ تأكليهم لأن هنالك من صنع أشياء مخصصة لتلك ك القناصة إلى المصانع .. أو المزارع ..

ولكن هو تفكيره ليس بالتفكير الذي يصنع هذه الأشياء ... ولكنك أنت تصنعين قانون الحياة فعلاً .. القوي يأكل الضعيف ..

- ولكننا لسنا في غابة ..

- العالم يعتبر غاية إلى مساحات المياه ..

وكل مكان جميل تري أنّ قانون الغابة يمثل أكثر من الآخر

- حسناً .. إلى ماذا تشير ؟

- ألم تكوني من سألتي عن وعي الأسماك ؟

- آه نسيت .. اعذرني .. ما هو أسمك وكيف تتكلم العربية

- أتكلمها لأني عربي .. واسمي هو محمد ممدوح

- إذاً .. إذا كنت تفكر بهذه الأفكار فلماذا أنت موجود هنا ؟

لماذا تسافر ؟ ..

- أظنها رحلة إستكشاف ... وممكن أنها تصل للإقامة

-هذا غريب ..

- أنتِ من صرختِ وقتها أليس كذلك ؟ ..

- صرخت ؟! اعتقد ذلك .. فلا اذكر بوضوح

- لا أنا اهتممت بالأمر عندما قلت اسم والدي

- والدك ؟! ما اسمه ؟؟

- ممدوح الديري .

الفصل السادس

أنا مجنون ..

في كل مرة أراه ويراني ، وكأنه شخص أعرفه ..

على الجبل من هناك ، بعيداً للغاية ..

..

قيل لي هذا الكلام عندما كنت في الرابعة عشر ، كان قد مضى شهرين على عيد ميلادي السابق ، إذاً الباقي هو عشرة أشهر للعيد التالي .. لعيد الميلاد

كان هنالك جبل جميل .. أناظره من بعيد

وكم كان لافت الأنظار .. كنت اعتقد أن هنالك شخص يراقبني دائماً عليه ...

قلت لعائلتي مراراً أن نذهب لرحلة إليه .. وكان طلبي من عدمه واحد ..

لم أهتم للأمر كثيراً فقد كنت اتذكره عندما أفكر فيه .. ولا أفكر فيه إلا قليلاً ..

في يومٍ من هذه الأيام حلمت بأنني أرسم صورة جميلة .. للقمر ما فوق ذلك الجبل ..

أن لكل مكان عالٍ صعب بلوغه .. شيء مستحيل ..فوقه .

مع أنني لم أكن أفكر بأن الرسم هو من سأجعله هواية المستقبل .. كان شيء بسيط .. أرسم العيون وبعض الوحوش المخيفة والغريبة ..

وكنت أحترف بذلك اللون الأسود

كما أنني حلمت بعدها حلماً بأنني أتكلم مع من على الجبل ، وكان يروي لي قصصه ، وأريه رسماتي الغريبة ..

بعد هاذين الحلمين .. قررت أن أذهب لذلك الجبل لوحدي ..

..

حاولت أن أصعده لوحدي ذات يوم ، ورآني أحدهم فتراجعت عن قراري .. وذهبت إلى البيت ، .. ولا أدري لماذا كنت خائفة أو متوترة أو مترددة ..

جلست أفكر وأنا أناظره من غرفتي .. فقد كانت رشفتي تطل عليه من بعيد ..

وكلما أمرقه بعيني أظنه سيفلت من ناظري ..

فكرت كثيراً وسألت عائلتي مرةً أخيرة .. ولم يتجاوبوا معي أخرى ، وذهبت لوحدي مرة ثانية ..

شردت من العالم لأقابله .. من هو ؟ الجبل ..

رآني ذلك الشخص .. نفسه من كان وقتها ..

تسلقت الجبل من دون أن تتوجه عيوني عليه

وانشقت روحي قبل أن أوصل للمكان الذي أريد بلوغه ...

وصلت للقمة الذي عافرت لوصولها .. ورأيت نفس الشخص الذي كان في الأسفل ..

وقال لي بهدوء .. لو سألتيني لقلت لك عن مكان اسهل للوصول إلى هنا ..

...

عندما قال لي الشخص الذي على السفينة أن اسمه محمد الديري تذكرت هذه ..

جاءني شعور من الفرحة ، ضيق ، أو خوف منه .. لا أدري

..

عندما قال لي هكذا .. كان يعرفني لهذا اقترب علي وقتها وتحدث معي ، وجعلني اتذكر بعض الذكريات التي اذكر فيها نفسي ، اقتربت عليه وحضنته وعلى الأرض كانت بقايا دموعي ، ابتسم قليلاً ، وأحسّ بالشقق بعض الشيء .. والحزن عليّ ..

ابتعدت عنه قليلاً .. وقال ..

لم أتوقع أن تتذكريني

.. كانت تمسح دموعها ولم تستطع أن ترد عليه ..

وفقدت عقلها بما أن كل هذا كان مفاجئاً .. فتركها لتهدئ قليلاً لأنه يعرف مشاعرها .. فقد عاشت معه الكثير ..

كان ذلك قبل سبعة سنين .. وبعض الشهور ، كانت تحب هذا ، الشخص . وإلى الآن .. ولكن هنالك شيئاً ما جعلها أن تتوقف بالتحدث معه وتنساه ظاهرياً ...

فقد قتل أحدهم وقتها .. ومع ذلك أنها اكتشفت بعدها أن من قتله لم يمت .. أي أنه كان حادث فكري ..

فندمت بعد أن بعدت عنه ، ولكنه كان يعلم أنها ستذهب إلى سويسرا ، وستذهب تهريب لسبب واحد ...

.. وهي لم تكن تستطيع تذكر هذا السبب ، وهو يعلم هذا الشيء ... لأنه قبل أن يذهب إلى المركب ويصعد عليه ويقابلها ، سأل أهلها ..

وقد علم أن ذاكرتها تكاد أن تختفي ، وتتذكر الأشياء عبر الأحلام أو اللحظات البسيطة تلك ..

فذهب إليها ، وقام يروي لها ما الذي حدث ..

صمتت وانصتت له .. فقال :

كنتم جميعاً مع بعضكم و الهدوء يعم المكان ، كانوا أخوتك يلعبون في الخارج وكنت أنتي لوحدكِ مع والديك ..

وقلتِ لهم : هل نستطيع الذهاب إلى سويسرا ؟ ..

سكت كلاهما .. وانتظرتي الرد ..

فقال أباكِ موالياً ابتاسمته ..

لكلٍ منا أحلامه التي تعتبر أنها هدف حياته الأخير .. وفي كل مرةٍ تحقق هذه الهدف أو الحلم البسيط تبحث عن واحدٍ آخر ، لأن الإنسان يرى نفسه فارغاً بعض الشيء ، يريد شيئاً يخاف منه ليحقق هدفه أو حلمه ..

وبعض هذه الأحلام مستحيلة نوعاً ما أو أن عليك تكريس حياتك كلها لفعله ، والحلم الذي تهدفين له من هذا النوع

...

لم تكن عائلتك فقيرة . بل بالعكس من ذلك ، ولكن أباك لم يكن من ذلك النوع الذي من الممكن أن يترك دولته بشكل سهل ، وأعلم أنه والدك وتعرفين ما هو وتعرفين إن كانت عائلتك فقيرة أم غنية .. ولكنك تنسي كثيراً هذه الأيام..

فعندما ذهبت لأرى أسماء من على السفينة .. لم أرى أسمك الحقيقي ، وبحثت عنك عندما وجدتك .. فسألت القبطان عن أسمك وقال لي أنه سناه مصطفى ولم يكن هذا أسمك ولا أسم والدك ، وكانت الأسماء الصحيحة هي "نور صالح"

وهذا الإسم الحقيقي لكٍ .. واعتقد أنك تعرفين ، ربما لا تريدين أن تحدثيني أو ما شابه ، ولكني لم آتي إلى هنا بإرادتي ، ولم أكن لأعلم دون إخبار والدك لي .. قد أراد حقاً أن تسافروا معاً ولكنك من منعتٍ هذا من الحصول ، وبل جعلتي العائلة حزينة جداً .. ولكن كما قال والدك ..

إذا كانت هذه وجهة نظرها إذاً هي صحيحة بالنسبة لها ..

وصمتك يدل على أنك تعرفين ما الذين أعني ، أليس كذلك ؟ ..

عمّ الصمت بينهما .. وكانت الأمواج هي من تتحدث .. ومع أنها لم تنطق بكلمة .. ولكن أفكراها كانت تروي كل شيء ..

..

ما هي الرسائل التي قرأتها ؟ أو كان هنالك مقال ورسالة ؟ لمن هذه الأشياء ؟ الكتابات ؟ هذه هي الأفكار الذي كانت تدور بدماغها .. ولا أدري إن كان دماغها الفعلي ..

ولكنه سألته سؤال ليس له أي صلة في ذلك :

في أيِّ يومٍ نحن ؟ ...

... جاوبها بهدوء :

- في الرابع

- لماذا لم تأتي قبل هذا اليوم لتتحدث معي ، وأنت تعلم أن هذه الأحداث تحصل معي سواءً كان صراخاً أو أي شيء آخر ، لماذا ؟

- نعم أعلم أنكِ هكذا ولكنني كنت أفكر بماذا سأخبرك ، وبالمناسبة لم يبقى الكثير لوصولنا إلى إيطاليا ..

- أتنوي أن تذهب معي في هذه الرحلة ؟!

- نعم ، وما المانع

- لا يوجد مانع بالطبع ، ولكن تحدثك معي هكذا فجأةً وبهذه الصورة بعد وقتٍ طال كثيراً ، هذا ما يجعلني أن أفكر في مانع ، أيَّ كان ...

- أنسي ما حدث سابقاً .. فقد كان كذباً واضحاً ، وإلى الآن لا أعرف لماذا كذبوا علي ..

- أعلم ذلك ..

- وإن كنتِ تعجبين من حديثي معكِ وبهذه الطريقة العادية والحماسية نوعاً ما ؛ وهذا لأنني لست أعرف ما الذي سأقوله في هذه الحالة

- حسناً ، وبشأن المقال والرسالة .. ما هذا ، أكان ماضي أم حلماً سخيف ..

- لا أدري ربما شيئاً قرأتيه وتذكرتيه .. الذي هو مقال الإسم أو دعيني أقول أن رسالة الخاصة بأبي إلى والدكِ هي من جعلتني أن أتأكد بأنك أنتِ

- وأنت كيف عرفت بأنني قرأت هذه الأشياء ؟

- ذكرك لاسم أبي بصوت عالٍ بعض الشيء وهنالك شيء قرأيته وقلتي في نومك " قرأت هذه عند وصولي إلى إيطاليا " ولا أدري إن كنتِ ستقرأيها في إيطاليا أم هذا كله هراء ...

- ربما بالفعل سأقرأه لا أدري ، ..

ربما مجرد أحلام بسيطة في النهاية ..

وأنت قد رويت لي القصة من جانب معرفتك .. فسأكمل روايتي .. لماذا ذهبت لوحدي ..

كما قلت كنا مجتمعين مع بعضنا ، وكانوا إخوتي في الخارج .. كروايتك لم تخطئ في شيء ..

عندما قلت لأبي وردَّ عليّ هذا القول الذي قلته أنت .. بعدها سألته عن السبب ..

سبب إستحالة الأمر فردّ علي :

حلمٌ مستحيل ، ونحن نستطيع أن نسافر إلى تلك المنطقة بسهولة بالغة " كانت صيغة مبالغة " ولكنكِ تعرفينني لا أحب أن أترك أهلي ومن حولي من البشر ، هؤلاء الناس الذين قضيت أعلب حياتي بجانبهم ، وبنفس الظروف ، أتركهم وأذهب إلى دولة أخرى ، هذا الشيء الذي كان مستحيل بالنسبة لي ، ولكنّي مع ذلك لا أمنعكِ أن تحققي هذا الحلم ، وبالعكس سأحاول أن أجعلك تستمرين بتحقيقه .. ولكنكِ ستشعرين بالفراغ ، حيال الأرض الوحيدة الذي ستذهبينها ، وفي جميع الأحوال أنتِ حرة .. ولكن ليس الآن ....

..

بعد هذا الحديث ، بدأت بجمع شتات نفسي ومحاولة تحقيق هذا الحلم والهدف ، وبدأت بتعليم نفسي اللغات الذين يستخدمونها ، ومحاولة جمع المال بطريقة أو بأخرى ، وبمساعدة أبي طبعا ، ولكنهم لم يقبلوا ، وبل رفضوا أن أذهب لوحدي ، لماذا ؟ لا أدري ، ربما أحسوا بأنهم لا يستطيعون تركي .. لا أدري

.. فقررت بعدها أن أذهب لوحدي ، ولم استطعت أن أجد محاولة أفضل من أن أذهب تهريب ، لكي لا يعلم عني أحد ..

وفي النهاية نسيت كل شيء عن نفسي ، ما السبب الذي كان ، لا أدري ولكنني أحاول أن أعرف .. واريد أن اعرف ، إلى أن جئت أنت والأحلام والأحداث البسيطة تلك .. لاتذكر ذاتي .. وجعلت نفسي بأن انسى اسمي .. أظن أن اسم مصطفى كانت شخصية أب في رواية .. رواية جميلة

واسم دوستانوف ، أظنني أحب الأدب الروسي .. وسناه لا أدري صراحة .. ولكن في جميع الأحوال أنا لم اعد استطيع أن أفكر أو أنني لا اريد ذلك ..

لا أدري ما الذي سأفعله .. ما الذي سأفعله بعدها....

..

الفصل السابع

أمل ..

هدوء القمر ، وظهور الليل ، واستعداد النجوم للعرض الليلي، وصوت البحر الممتع ، وهروب نور الشمس ، ومع أنها كانت جميلة اليوم ، كل هذا منطوٍ تحت جمال البحر ، وجمال رحلاته ، وإن كانت تهريب ...

كليهما (سناه ، محمد) في مناطق مختلفة ، إلا أن تفكيرهما واحد ، ولن يحصلا على رحلة رومنسية أو عاطفية .. لكل معناه .. قد عاشا هذه اللحظات من زمن .. فقد عاشا الكثير معاً .. وبل يريد كلاً منهما ، معرفة حقيقة الأمر ، وعن أيّ أمرٍ أتحدث .. فلا أدري ..

فهما يفكران بأمرٍ لا يعرفون ماهيته بالفعل ، ولكن .. لكل موضوع أو قصة أو حدث فله سببه ..

كما أنهما يعرفان ذلك ؛ فسينتظران ..

ومع أن تطور هذه العلاقة كان سريعاً ، إلا أن هذا طبيعياً

لأنهما كما قلت يعرفان بعضهما كثيرا ، وفي كل الأحوال هما يفكران بطريقة ..

بأسبابٍ متعددة ومتفاوتة بعض الشيء .. و شبيهة في النتائج ربما ...

..

بدأ اليوم الخامس بالظهور ، والشمس بالصعود ، والفجر بالبزوع ، لا أدري ما الذي سنفعله ، وهل سنكمل رحلتنا إلى سويسرا بشكل عادي ؟ وهل كل شيء على ما يرام ؟ ألم يبكي أحدهم الليلة على فراقه وابتعاده عن عائلته و أحبائه ؟

أظن أن هذا المرض بدأ يتلاشى عند الطفلة الصغيرة الباكية التي تسمى بسناه ، وبالفعل نور ..

ومحمد لولا أنه أُمر ، أو طُلب منه لما جاء إلى هنا ؛ فهو لم يكن يعرف شيئاً .. ومع هذا التزامن جاء في بالي كما في بال سناه ، كيف علم بأنها ستذهب تهريب ، وكيف علم أن هذا هي السفينة ؟!!

..

ذهبت إليه مسرعة ، ولم تكن المسافة طويلة .. فقد كانا على مركب واحد وصغير ، يكاد أن يكون غرفة محددة ...

وبعد أن سألته وكادت تسقط على الأرض .. ولا أدري لماذا .. أجابها بكل هدوء ..

- لا أدري ...ولكن شعرت بأنك ستذهبين عن طريق الترهيب ، وبحثت عن السفن التي كانت ستسافر كذلك .. وبالفعل لم اجد إلا واحدة في هذا اليوم .. وعرفت ذلك بأنك ستذهبين في ذلك اليوم لسببين .. أنه لم يكن خروجك من المنزل له مدة طويلة .. والسبب الآخر فهو توفيق .. لأنني أريد أن أفعل خيراً ربما .. لا أدري .

..

دهشت سناه بالأمر ولكنها توقعته من هذا الشخص ..

...

كليهما يرويان قصةً من نوعٍ ما .. وكلها حقيقية للاسف .. يحكون لبعضهم رواية حزينة ..

ومع الحزن هذا .. حصل لسناه موقفاً جعلها تضحك .. وقالت بعدها

" ما كان علي أن اضحك "

.. شعر محمد بالغرابة .. من ثم سألها ..

وما معنى أن تضحكين ؟

- لا أدري .. قرأت مرة كتاباً فلسفي يتحدث عن كيف نحن نبني أنفسنا وآخرين يُهدمون ، عن كيف أنت تضحك وآخرين يُفقدون ؛ فشعرت بعدها بتأنيب الضمير ربما ، وكأنني أنا أفعل كل هذا لوحدي ...

عندها ذهبت للخارج ورأيت أنني لست لوحدي .. وبالعكس أن الأمر قد أصبح سيئاً أكثر .. فأصبحت من القليل عليّ أن اضحك ، وهذا لك يكن بإرادتي .. ولكن حصل ما حصل .. ولست آخذة الأمر على محمل الجد .. ولكن..

- افهمك ، وما تقولينه صحيح ولكننا سنقيد أنفسنا وهذا خاطئ صراحة ، ولكن لا نستطيع أن ننسى هؤلاء الناس .. وهذا لم يكن كتاباً .. ربما مقال

- لا أدري ربما كذلك

- هذا الموضوع الذي طرحتيه معقد .. ولن أدخل في تفاصيله ...

- نعم أرى أن ذلك جيداً

وأكملا ... حديثهما .. ولن نتنصت عليه ...

ظهرت الشمس .. وعدى الفجر .. واستيقظ الجميع .. وانتبهوا لجلوس هذان الاثنان مع بعضهما .. كان شيئاً غريباً

ولكنهم لم يهتموا .. إذ همهم أنفسهم ..

..

وبدأ القبطان بالحديث عن أخبار ..

سنصل في وقت أقصر من المتوقع ..

كان الحظ معنا

..

لربما هذا سيكون .. بصيصاً من نور الأمل .

الفصل الثامن

أنا حر

في كل مرةٍ أرى نفسي فيها ، أشعر بأنني مقيدة ..

بإتجاه شيءٍ أو شخصٍ ما ، .. فكرت حينها ، إن لم أكن حرة ، فإنني عبدة ، ولكنني لا اظن هذا ولا ذاك ، أعني أن العبودية لا أظنها فيني ، وأشعر بأنني مقيدة بشيء واتجاه شخصٍ ما ، وأحس احياناً بالفقد ، سواءً كان فقداً داخلياً لذاتي ، أو خارجي لمن أحب ، أو من كانوا يحبونني فأشعر بالراحة فأصبح بعدها أحبهم ، إلا إذا كنت شخصاً سيء ، فلا اريدك أن تحبني ولا أن احبك ، ولكن .. مع هذا الفقد الوجداني .. والعبودية الغير ملموسة .. هل أنا حرة ؟

..

هذا كان سؤالٌ موجّه من سناه في اليوم السادس .. كان موجهاً لمحمد ، لا أدري إن كانت محقة أم لا ، ولكن من كلامها شيءٌ من الصحة ، لا أدري ..

ورأي محمد كان بنفس اعتقادي ولكنه بطريقة أعمق :

بما أنكِ ضمن ديانة ، إذاً أنتِ عبدة ، وإن لم تكوني تعبدي أي ديانة .. وأحد هذه الديانات صحيحاً ، أنتِ عبدة ، إذا كان ما يسمى ب"القدر" صحيحاً أنتِ عبدة

- القدر .. ما رأيك به .. هل هو موجود أم هو فقط عدم الشعور بالذنب ، إذ هو ينفي تأنيب الضمير عند الكثيرين .. وإن كانوا هم من فعلوا فعلتهم .. إن كانت ..

- كلامكِ صحيح ، وهذا إن لم يكن موجوداً ك مسمى ، وإذا وجد حرفياً إذاً أنتِ لا تختاري شيئاً .. لستِ أنتِ من تفعلي ما تفعليه ، أنت تتحركي و.. و.. و.. بإرادة القدر .. أنتِ فقط عليكِ أن تشاهدي ما يفعله بكِ القدر ، ومع العلم أنكِ تشاهدي بإرادة القدر أيضاً

- هذا غير صحيحاً ، بالنسبة للإسلام الذي اعتنقه أنا ، إذ أنت مخير ولكن مع ذلك القدر موجود ..

- هذا تعقيد ، وغير مفهوم ..

- مثال ، قلبك مثلاً ينبض من غير أن تحاول ذلك أو أن تشعر به ، تفعل هذا الشيء من غير إرادتك لأجل أن تعيش ، أنت خرجت من البيت بإرادتك ولأنك تريد ذلك ، امطرت فجأة من غير سابق إنذار .. هذا على ما اعتقد ما يسمى بالقدر ..

- أولاً ، طرحك للمفاهيم .. بأنها تحدث فجأة وليس بإرادة أحد فهو خاطئ ، القلب يعمل على أساس عمليات جسدية تحدث .. يضخ الدم .. إلى آخره ، والعواصف ستأتي من أحوال جوية .. وشيء آخر إذا كنتِ تتحدثين عن القلب .. فلنأخذ كمثال .. الدماغ ، أنتِ تفعلين كل شيءٍ بواسطةِ إشاراتٍ كهربية ينقلها الدماغ إلى أي عضو .. وهو الذي يفكر بواسطته على الأقل .. إذاً نحن نفكر من غير إرادتنا ، إذاً لا وجود لمسلمٍ أو كافر ، إذاً لا تستطيع أن تضع هذا في مكان مثالي والآخر في الجحيم ، لأنه ليس هو من واصل التفكير وفعل ما هو يفعله ، والعلم ينتقد تماماً هذه الفكرة .. ولهذا لا يتوافق الدين مع العلم ، والدين باعتباره خرافة أيضاً ؛ لأنه مع وجود المعجزات و.. و.. و.. بإعتباره خرافة ، وإن كانت صحيحة ..

وسترى أن العالم بشكلٍ كلي ليس له فكرة محدودة ..

..

ومع تداحم هذا الحوار .. ظهر شخصٌ من العدم لنقل ، كان يسمعهم من بعيد أو من قريب ، ويبدو أنه كان مهتماً بالأمر ، كان يفهم ويتحدث العربية .. لأنه قال :

- أمؤمنّ أنت بما تقول ؟

محمد - نعم ؟

- أسألك ..أمؤمنٌ أنت بما تقول ؟

محمد - وإن كان ؟

- من الواضح أنك قرأت كثيراً ، ومن الواضح أنك مثقف ، ولكن مع قولك هذا تعارض الشريعة الإسلامية

محمد - لنكن واضحين ، أولاً لن أهتم بتنصتك هذا علينا ، ثانياً أنا لم اقرأ كثيراً ولست مثقف .. لأن الموضوع معقد ..

ثالثاً .. أنا لا أعارض الإسلام ، ولكنها أفكار ، ولكل ديانة أو شريعة .. أو لأي شيء يوجد فجوات ، والدين الإسلامي صراحةً فجواته كثيرة ، ولن أتحدث عنها لأن باعتقادكم أن من يفكر .. فله حدودٌ لهذا التفكير ، وهذا الشيء في جميع الأحوال ليس له معنى ، لأن لولا تفكيرنا هذا لما وصلنا هنا

، وهنالك الكثير من الأسئلة طرحت قبلاً وأجيب عليها في هذا الزمان ، وأُكدت علمياً ، وتجريبياً ..

- كلامك صحيح ، وكما قلت لن ندخل في صلب الموضوع ، ولن نناقشه ، .. إذاً استمتعا بوقتكما ، إن وجدتا منفعة هنا ..

.. وذهب

... ضحكت سناه .. وقالت

- من هذا ؟

- لا اعرف

- ولماذا لم تسأله ؟

- لست أهتم ، إن كنت سأخوض نقاشاً مع أحدهم .. فلن أسأله عن إسمه ، ربما ذلك بسبب مقال والدكِ ، أو ربما لأنني لا اريد ذلك كسلاً مني ، أو لن أراه ثانيةً

- ربما تراه

- سأسأله إن رأيته ...

...

الوقت يمر بسرعة ، ربما مرّ السابع والثامن من غير أي سابق إنذار .. العالم يتحسن على ما اظن .. كل شيء بدأ يتحوّل باللون الأبيض بعد السواد ربما .. كل شيءٍ كان مخططاً له .. كله بالحسبان ..

أنا اعتقد أنني وحيدة بعد كل هذا ، اتمنى بان ابقى لوحدي هكذا ، لا اريد أشخاصاً حولي .. أحبهم جميعاً وأحبه ربما ، ولكن مع ذلك أرى نفسي لوحدي ..

وبكل هذا الأمر أرى نفسي .. حرةً .. وإن كنت مجنونة .

...

الفصل التاسع

سأكون ..

" ربما كنت سابقاً .. أو أنني أحب كوني هنا الآن في الوقت الحاضر .. وهذا الموت ينتظرني .. سوف أكون ..

..

الكون وحيد ، ساكن لا يتحرك ، والوقت يمر .. فالساعة تدق

واقتربت السنين على زوالها ، وأنا ، ومن أنا ؟

..

سفينةٌ تجري ، وبحرٌ متلألئ ، وشأنٌ يريدني أن أفعل ، ما الذي أفعله ؟ أنا ضعيف لا أقدر على شيء ، وبل أنني مصاب ، مصاب بمرضٍ نفسي ، بماذا يسمى ؟ ..

يسمى بالتفكير ..

في هذا العالم إن كنت تفكر فأنت مريض ..

..

أنا مكتئب ، مكتئبٌ لأنني فكرت من قبل ، فكرت عن ماهيتي ، وإلى أين ؟ ، ولماذا ؟

واكتشفت أنني نعم ، أهاب الموت ، ولا أريدني هنا ، لا اريد أن اعيش في هذا العالم ، ونعم .. كل شيءٍ قد فُقد .. أو ربما لم يكن من الأساس ..

..

وبجميع أحوالي هذه .. فإنني أنا من سيصنع ..

أنا من سأمتلك ، كل شيء أريده سأمتلكه ..

ربما كل الأشياء هذه كان من ضمنها الزمان ...

أو عندما أكون .. فأنا من سيكون ..

وطلبت الحذر من نفسي إذ ناديت ..

..

على حافة الظلم اشتكي ..

يا دنيا لمَ ظلمتيني ؟

وجعلتيني أواري ابتسامةً

كانت تعكس آراء ملّتي

..

وأشكو كلامي هذا بالكتابة ربما لمن كان واهناً على الحافة هذه معي ، علم البيضاء قد رُفع .. وأنا لن أكمل ..

..وسأبقى على ظني هذا .. إلى متى ؟ إلى مماتي ربما ، أو من الممكن أن يموت جسدي ولا أموت أنا ، ربما سأبقى حياً ، أشك و أفكر ... "

..

..

هذه رسالة ربما ، أو حديث شخصي ، كتبه أحدهم للفراغ الذي هو عليه ..

قرأته سناه ، كانت بحوزة محمد ، هو لم يعطيها هذه بإرادته ، ولكنها كانت بجانبه ، وهو كان نائماً .. فغلب الفضول .. وامسكت الورقة وقرأتها ...

بدا كل شيءٍ لها باهتاً .. ورجع السواد يروي لها قصته ..

لماذا ؟

ألم نكن فرحين ؟ سنصل إلى سويسرا .. لم يبقى الكثير على وصولنا إلى إيطاليا ، نحن في اليوم الحادي عشر ، لم يبقى الكثير ، ربما سنصل اليوم .. من الممكن ..

لماذا أنتِ حزينة ؟

..ربما ستكون هذه محطة فقدان أملٍ أخرى .. ستكون عابرة ..لم يبقى الكثير على المحطة التي تليها ...

فكرت سناه ، ربما بما كان مكتوباً ، أو بحياتها المستقبلية ، ما الذي ستفعله ؟ .. ربما اكتشفت أنها كانت مخطئة بعد كل هذا ... هو ليس شعور بالندم ، ولكنها مخطئة ..

..

"على جانب الحزن اتقلّب " ..

هكذا ردّت سناه .. بعد سؤالٍ لها كان موجّه من محمد ..

" ما بكِ" ...

كان الأمر سريعاً ..

" ألم نتحدث في هذا من قبل

سأخطئ إن قلت أنكِ مخطئة .. ولكن

ألم نتعدى الأمر ؟

وانتهى لا من رجوع

وذهبتِ أنتِ .. فانتهى الأمر ..

ربما ، ربما رفضتِ جميع أفكارك ولكنك لم ترفضيني كفكرة .. أليس كذلك ؟ هل أنا على صواب ؟ '

..

كلامٌ مقلق ربما .. من شخصٍ يعرف ما يقوله ...

اقترب وقت الرحيل وانتهى الأمر ..

ذهب كلٌ في حال سبيله ، وصلنا إلى إيطاليا

.. أو ربما نحن الآن في جنوبها .. جنوب إيطاليا .. والآن سنحاول الهروب ...

الفصل العاشر

الرحلة

..

" لن أكون سوى هاربة ...على هذا التقدير .. على ما اعتقد "

هواية تقترب من البحر .. في ذلك المحيط ..

على هذا المنوال سنبقى ساكنين

..

ذهب محمد ليبحث عن طريقة للهروب من جنوب إيطاليا .. إلى شمالها ..

أما سناه فبقت تفكر محلها .. وهو من طلب منها أن ترتاح قليلاً من سفر البحر هذا

..

فقد عاشوا مآسي في آخر الأيام ..

في اليوم الحادي عشر الآخير .. كانوا سيغرقون جميعاً .. لولا تنبه محمد للأمر وإنقاذ الجميع لكلهم الآن في الجحيم ، أو في الجنة بنظرهم ..

..

لم يكن أمر البحث عن مركبٍ أو شاحنة لتنقلهم من الجنوب إلى ما يريدون أن يصلوا إليها .. لم يكن هذا الأمر صعباً لتلك الدرجة ، لأن كل شيءٍ تقريباً كان مخططاً له ، .. لأنك لن تذهب إلى رحلة صيد من غير سنارة ..

..

ولكن ما كان صعباً بالفعل هو إرضاء سناه ، وبمعنى أصح تقبلها للواقع لأنها كانت حزينة قليلاً ..

..

لماذا هربت واختارت ما كان صعباً ؟

وتستطيع أن تفعل ما هو أسهل .. لماذا اختارت الصعب ؟ وبل الأسوء ..

هذه اسئلة كانت تدور في بالها في هذا الوقت

طوال الوقت .. طوال وقتٍ ما بعد أن قرأت الرسالة .. أو ذلك الحديث الشخصي على الورقة ..

..

هو لم يؤثر بها لهذه الدرجة .. ولكنها تذكرت .. تذكرت كل الرسائل والمقالات والكتب التي قرأتها ، توحي إليها بأنها كانت عكس ذلك ، ما كانت لتختارت هذا الشيء .. ولكن ما هذا ؟! هي لا تعرف وهي من اختارت ... هي من فعلت كل هذا .. كيف لها أن تنسى .. كيف لها ذلك ؟ وما الذي انساها كل هذا وجعلها تذهب ؟ وبل تهرب .. كل هذا كان غباءً بالنسبة لها ...

وبالفعل .. ما هذا العبث ؟ ، وما هذه الطريقة الريخصة للتخلص من ما لا تريده ؟!

..

..

ولكنها لا تندم رغم ذلك كله ..

تفكر بعدها بأنه لو لم تفعل ذلك ربما لحصلت أمورٌ اسوء .. على أقل تقدير أن هذا العذاب فقط يخصها هي .. لم تضر أحداً آخر .. صحيح بأن عائلتها حزينة عليها .. ولكن هذا أفضل من أن يحزنوا على أنفسهم على حد رأيها

.. ولا تدري ، إن هذه ذكريات فحسب ، لا تدري ما الذي كان يدور سابقاً في بالها لفعل هذه الأشياء ..

لهذا قررت بأن لا تهتم ومع أنها حزينة جداً .. ولكنها تعرف أن هذا سيتلاشى بعد مدة من الزمن .. وهذا هو الألم .. ولكن ستتحمل .. وجلست تفكر بعدها .. ما الذي ستفعله ؟ إن وصلت سويسرا .. تركت هذا إلى أن نصل ..

..

رجع محمد وهو يحمل غنيمة بالنسبة للوقت الحالي ..

رجع ومعه من سيقوده هو وسناه إلى الشمال ..

وبصدفةٍ ما كان ينطق العربية .. ولكنه لم يُعرّف من اي دولة هو ، ومع أنه قال .." أنا ادعى عاطف مراد "

كيف قال اسمه بهذه البساطة .. وعند سؤاله عن دولته لا يجاوب.. لا يريد الفصح عن ذلك ..

غير مهم .. المهم أن نصل الآن ونرى ما الذي سنفعله.. هكذا كان رأي محمد ..

كان طويلاً .. كان بطولٍ عادي بأمانة ، ملامحه حادة بعض الشيء ، ولكن عند حديثه معهما بدا لهما أنه رجلٌ طيب ، يريد الخير لهما ..

ومع أنه تعجب .. ب " كيف أنتما اثنان مسلمان من دولةٍ مسلمة .. تجلسنا مع بعضكما وبل تسافران معاً بهذه البساطة "

.. لم يعلقا على ذلك

.. من ثم سأله محمد ..

- ألن تُركب معنا أحداً ؟

مراد - لا يوجد عرب كثي..كثيرون .. في المنطقة ، ويشرفني أنكم هنا ، لا أحب أن .. أُركب إلا من أهل بل..بلدي ..

محمد - أهل بلدك ؟ أنت مصريٌ إذاً ؟

مراد - لا ، .. لكنني اقصد الوطن العربي بشكل... عا..عام ..

محمد - ومن أين أنت إذاً ؟

مراد - هذا غير مهم .

محمد - وأنا يشرفني أن أعرف من أيّ بلدٍ من سأركب معه في نفس الشاحنة أو هذه المركبة على العموم ..

مراد - وأنا أرفض ذلك .

محمد - وأنا أرفض أن اركب معك ..

محمد (لسناه) - لنذهب ، كما وجدناه سنجد غيره .

.. مراد - لماذا أنت م.. مصرّاً ... هكذا ؟

..

لم يرد عليه محمد وذهب مسرعاً ومعه سناه ..

سألته سناه :

بالفعل لما أنت مصّر ؟

- يتلكل بالعربية بشكلٍ عام .. وصحيح أنه يتكلمها بشكلٍ عادي ولكنها يتلكلك .. ومن الواضح أنه من أهل هذه المنطقة .. سمعت الكثير يحذرني عن سارقين من هذا النوع في رحلة بحثي هذه .. ومن الواضح أنه منهم .. من شكله الغريب هذا ومن الواضح أنه مرتبط بنا لأنه يبحث عن عرب .. يعتقد أننا سهل اقناعنا ، ومن الواضح أنه لا يريد الفصح عن دولته لأنه لا يريد أن يتورط بها وهو يتكلم العربية الفصحى .. من الممكن أن نكون بنفس اللهجة وأننا نكشفه لنمسكه متلبساً .. وهذه ليست من أفكارنا .. ولكنه من يخاف ...

..

بعد بحثٍ استمر لهذا اليوم بطوله .. وجدوا غيره ، ولكنه كان أغلى وابطأ في الوصول .. لم يهمهم ، كل ما عليهم هو الوصول .. لا يهم " بكام " أو " امتى "

..

لم يكن ك ذاك لأن محمد كان اذكى هذه المرة وسأل من حوله من بشر ، لا أدري ما الذي كانت ستفعله سناه إن لم يظهر لها محمد من العدم هكذا ..

...

كان الطريق طويلاً ومتعباً .. وبنفس الوقت شيق ..

متلهف كل منهما على أن يصل إلى سويسرا .. ويرى كل واحدٍ حلمه أمامه .. ربما .. كل هذا كان خيالاً .. ولكنني أراه

.. وكان رحلة السفينة صعبة ومتعبة .. ولكنها سريعة بالنسبة لهذه الشاحنة أو المركبة أو ليكن ما يكن .. بالمقارنة أرى أن هذا ظلم ...

غ ير مهم .. سنصل قريباً

..

وتستطيع القول أن هذا كان سيضعف من كان قوياً .. فجعلهما يناما الاثنان ..

كانت رحلة متعبة طوال هذا الوقت .. ولم يذكر أحدهما أيًّ من المحطات الصعبة هذه .. وبكلمة صعبة .. كأقل تقدير ..

ما اسم المدينة التي كانت في الجنوب ؟ وبماذا كانت تسمى التي ذاهبين إليها الآن ... هذا ليس ما كان يدور في بالهما .. لأن هذا لم يكن مهماً أبداً ..

ما الذي سنفعل عندما نصل ؟؟ و.. و.. و..

خائفة .. ربما سناه كانت كذلك ...

ومتوتر كان قليلاً .. ولكن هذا لم يكن في حسبانه .. ما الذي عليه فعله ؟ أن يرجع إلى أهله ويطمئنهم ؟ .. أم يبقى معها ؟

.. لا يدري شيئاً من هذا .. ربما سنعرف عندما نصل ...

..

كان الأمر صعباً ..

وصلنا إلى الشمال ..

كانت ستبكي سناه .. من الفرحة ، ولكن ..

انتظري يا سناه .. بقت محطة واحدة فقط .. انتظري قليلاً

..

الفصل الحادي عشر (الأخير)

الوجود ..

هل إذا كنت موجودة .. هل هذا يعني أنني أنا ؟

أو هذا ما نعتقده من تفكير.. سيتوقف حينئذٍ ، سيتوقف عقلي عن التفكير ؟ ربما سينفجر .. هذا ما نعتقده .. أو هذا ما تعتقدونه أنتم ...

.. كل أمرٍ يخطط له على حسب الزمان في..

في كل العلوم سترى علماً مناقضاً لفكرك .. تتفاجئ .. من ثم تتقبل ذلك .. تتقبله مجبراً ..

وعلى العلم فأنك ممثلاً لفشلك ..

..

بعد وصولنا إيطاليا .. إلى شمالها .. بقي أن نعبر ونذهب إلى سويسرا ، وهذا الأمر سهلاً ، ولا اقول أنه سهلاً .. ولكنه بالنسبة للسابق فهو سهل ..

وصلنا إلى الشمال .. عفواً إلى الجنوب

إلى كومو.. الحدود السويسرية ..

سنحاول عبور هذا الجبال ، أت عبر الغابة .. في هاتين الحالتين سنستمتع بهذه الرحلة الطبيعية..

.. ومع هذا الجمال كله .. سألت سناه فجأة ..

.. - ما معنى الوجود ؟؟

..

كان السؤال مفاجئاً بالنسبة لمحمد .. كانا لوحدهنا يمشيان وهما مستمعان .. ما هذا السؤال المفاجئ .. وبل الغريب

..وسط هذه المناظر التي لم تشهد عينتانا أن رأتها من قبل ، ما هذا السؤال الغريب ؟

..

..

هذا ما كان يدور في باله .. ولكنه لم يرد عليها بهذا الشكل ، ولنكن واضحين ..

حتى محمد لم يكن يعرف الإجابة تماماً .. ولكنه أجابها بطريقة علمية .. بيولوجية ، حاول أن يتغاضى عن الأمر ، ويكتفي بذلك ، ولكنها اصرّت .. لا اعلم ما معنى هذا الإصرار ، وقال عند شرحه البيولوجي ..

- أتمزح معي ؟!

..

لم تنفع خدعته .. ربما ..

لم يدري ما الذي يقوله .. ولكنه ردّ عليها بعدها .. :

- لا أعرف .. ربما الوجود الواعي مضر ، تشعر بالألم والحزن والسعادة والفرحة .. ولا تأخذ إلا لنفسك .. ولا يهمك سوى نفسك ، وصحيحٌ هذه غرائزنا .. لا علاقة لها بما نفكر .. ولكن ما نفكر به من وعي يجعل هذه الغرائز تظهر بشكل أكبر ..

ومن الممكن أنك ستفقد أناساً تحبهم ربما .. ولكن كل هذا ستنظر عليه بأنه فائدة لك ... فعليك أن تستقبل كل هذا بحب ..

وهل الوجود مرتبط بالوعي ؟ أو هل الغرائز مرتبطة بالتفكير الواعي ؟

..

ما معنى وجود أصلاً ؟ .. على ما اظن ومن الممكن أن يكون كلامي خاطئاً ولكن .. الوجود هو أن تكون .. واعياً أم لا .. ف علمياً " الإنفجار الكوني " هو من جعلك موجود .. إذاً هو وجود ولكنه غير واعٍ .. سترى أن هنالك شيء غير واعٍ ولا يفكر اثر

على العالم بشكل اجمع .. وجعله عالماً من الأساس .. وبهذا الأساس يعتبر بأن الوجود ليس مرتبط بالوعي بشكلٍ تام ، وهذا ما يقارب سيكون رداً على اول الأسئلة ..

الوجود .. هو التأثير في الموجودات الأخرى .. إن كانت هنالك فراشة في مكان ما .. لا يعرف عنها أحد حتى أهلها .. وأخذت ترفرف في السماء .. فخلقت إعصاراً في مكان آخر .. وتسبب هذا الإعصار بموت أحدهم .. إذاً هي اثرت فعلياً في الوجود بشكلٍ عام .. إذاً هو موجود ...

وهل نستطيع القول بأن وعي الفراشة مشابه لوعي الإنسان .. ستظهر غبياً إن قلت شيئاً كهذا ..

..

" بعد هذا الحديث الطويل الذي كان من طرفٍ واحد .. طلبت سناه من أن يجلسا في مكان ما لتركز في كلامه أكثر " ...

" كما لو أنها محاضرة " .. هكذا علّق محمد

.. وبعدها أكمل .. :

- وكما قلناه .. فالأمر مشابهاً إذا كان معكوساً ، اي إن كنتِ ترين شيئاً ما .. وهذا الشيء الذي أمامك .. اثر على وجودك بنظرك إليه وبإدراكك بأنه موجود ، وإن تخيلت هذا الشيء مرةً أخرى ، وكأنه كان معدوماً لاختلف الأمر بشكلٍ أو بآخر ...بالنسبة للسؤال الثاني بما أنه مرتبط بالوعي ، فكلما زاد وعيك زاد تأثيرك ، زادت فعالية وجودك .. وأثبت وجودك أكثر ..

- والغرائز ؟

- الغرائز الإنسانية هي حيوانية في جميع الأحوال .. وإذا قلنا بأن الغرائز مرتبطة بالوعي والتفكير و... و.. و.. ، سيصبح الحيوان يفكر وهو واعٍ مثلنا .. وهو بالفعل كذلك ولكنه بنسبة أقل ، ومع ذلك فإن الغرائز لا دخل لها بالوعي .. إذ التفكير هو من يجعلنا نتحكم بمقدار هذه الغرائز علينا .. وهذا أمرٌ صعب .. عليك أن تتحكم بغرائزك ...

..

واظنني شرحت بما فيه الكفاية ، ولكنمل طريقنا لأن وجودنا في سويسرا ينتظرنا ...

- شكراً على هذا الشرح .. أظنني فهمت ..

- عفواً ، ولا داعي الشكر .. والآن لنذهب ..

...

بين غاباتٍ سويسرية .. وبين أيامٍ جميلة .. لم يستطيعا اظهار مشاعرهما تجاه هذه الطبيعة بسبب هذا التفكير ..

غير مهم الآن ..

..

لم تكن سناه متشوقة لهذا فحسب .. حلنٌ ربما يتحقق أمامها ..

وبكت من الفرحة .. تستطيعي فعل ذلك الآن ..

..

ولنكن واقعيين هذا من أجمل الأمور التي من الممكن أن تحدث في حياتك ، ربما حلم

..

تستطيع بأن تجزم بأن هذا كذبٌ ، أو لأنه يشبه الكذب من جماله ..

لم تفكر سناه بالرحلة .. وبما ستفعل أو بوجودها أو بمن ستكون .. ربما فقط ارادت أن تبقى في هذا الحاضر فحسب ...

...

ومع كل هذا الجمال كله ... أعطى محمد سناه رسالة .. وطلب منها أن تقرأها .. وهو سيذهب ليبحث عن أمرٍ ما ..

.. تعجبت سناه ولكنها تحب هذه الأشياء .. اخذتها ، وذهب .. قرأت سناه بصوتٍ شبه عالٍ

"

اعتقد أن كل الأفكار تتطلب تفكير طويل الأمد ، وأنا أحب هذه الأشياء ، ولكنّي لا اريد أن أطيل ..

فكرة أنكِ حرة .. وموجودة .. وتنسين الماضي .. وتفكرين ربما بما سيحدث هذا لوحده جمالكِ .. ولكن ..

أردت أن أفعل ما بوسعي لاجعلك تصلي إلى الحلم الذي اردته .. وهذا كان طلبٌ من والدك .. إنه حقاً رجلٌ عظيم ، وهذا ما تمنيته أنا أيضاً .. ولكن مع ذلك لا أستطيع فعل كل هذا معكِ ...

كنت سأفعل ذلك حفاظاً على مشاعرك .. ولكن صدقيني كنت سأموت حياً ، علمت بكل أمرٍ أنه سيحدث .. وأنا لن ابقى .. لأن كل هذا ما كان سيحدث إلا إذا كنت فكرت سابقاً .. وعلى هذا الحال .. كنت أحاول أن أكون حراً دائماً ولكني ما اختاره دائماً ينعكس على إلحادٍ مني .. فارفض .. رفضاً قاطعاً أرفض هذا .. ولكن ماذا ؟ .. أنا ملحد الآن ..

كل الأمور ما كنت لترتبط ببعضها إلا بسبب وجودٍ معين .. ربما كل أمرٍ كان مخططٌ له من قِبل القدر .. وهذا هراء ..

أحاول أن اكتشف دائما .. ما على خطوط العالم .. ولكني في كل مرة أحاول فيها اكتشاف نفسي .. أظنني .. شخصا .. لا يريد ..

اتمنى أن تكوني سعيدةً بعد كل هذا .. لا أدري .. ربما كانت الإرادة في النهاية مرتبطة بالمعرفة .. وأنني أنا لا اعرف .. ولكني أتمنى ذلك .. وتمناياتي أيضاً بأن تعرفي أكثر ...

..

ولم يكن اسمي محمد من البداية .. ربما هذا تمويه .. فأنا لم اختر اسمي .. لم اجد اسماً مناسباً يعبر عن معناي .. ولهذا فلن اختار اسماً .. وكان اسم سناه مرتبط بك .. إذ كانت في بداية الحروف الأربعة التي قلتها اولا .. التي هي ال سين والنون والالف والهاء .. ربما هذا كان ذكاءً آخر غير متعمد .. واظنني أكثرت من الحديث .. وهذا الأمر مرتبط بجمال اليوم .. أظنني انتهيت عند هنا .. كل أمرٍ وله نهاية ....

...

تمنياتي لكِ بالسعادة ..

الثامن والعشرون من شهر نوفمبر ..

لا اسم .. " .

...

..

الخاتمة ..

..

لم أضع أي خاتمة أو مقدمة لأني لا أعرف هذه الأمور....